www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « وَمَنارًا » كمنار الطريق

٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ — ٥ العقرب ١٣٠٤هش ٢٨اكتوبر ١٩٢٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن تيمية رضي الله عنه

الاصل الثاني

الاحتجاج بالقدر على المعاصي على المأمور(١) وفعل المحظور فان القدر يجب الايمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعده ووعيده

والناس الذين ضلوا في القدر ثلاثة اصناف ﴿قوم﴾ آمنوا بالامر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر وزعموا ان من الحوادث مالا يخلقه الله كالمعتزلة ونحوهم ﴿وقوم﴾ آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على انه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان الله خالق كل شيء وربه ومليكه، لكن عارضوا بهذا الامر والنهي، وسموا هذا حقيقة، وجعلوا ذلك معارضا للشريعة، وفيهم من يقول ان مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب، وان العارف يستوي عنده هذا وهذا، وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد فانهم لا يسوون بين من أحسن اليهم وبين من ظلمهم، ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر والعاجز، ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم، بل يفرقون بينهما(٢) ويفرقون ايضا بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الامر والنهي، فلا يقفون لا مع القدر ولا مع الامر بل كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق مذهبك(٣) تمذهبت به فلا يوجد أحد

(١) لعله: أي ترك المامور (٢) لعل الاصل: بل يفرقون بينهما بالطبع والعقل - أو ما هو بمعنى هذا بدليل ما بعده (٣) لعله هواك أو غرضك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالفلك(؟)في ترك الواجب وفعل المحرم إلا وهو متناقض لا يجعله حجة في مخالفة هواه بل يعادي من آذاه وان كان محقا ويحب من وافقه على غرضه وان كان عدو الله ، فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه رغرضه وذوق نفسه ووجده ، لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبته وبغضه وولايته وعداوته، اذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فان ذلك مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه . وللشر الذي لا خير فيه اذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من باغ ولا أخذ لمظلوم من ظالم ، ولفعل كل أحد مايشتهيه من غير معارض يعارضه فيه

وهذا فيه من الفساد ، مالا يعلمه إلا رب العباد .فمن المعلوم بالضرورة أن الافعال تنقسم الى ماينفع العباد ومايضرهم والله قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فمن لم يتبع شرع الله ودينه اتبع ضده من البدع والاهواء ، وكان احتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه (١) لزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير ، من أهل المعاذير ،

(وان قال) أنا اعذر بالقدر من شهده وعلم أن الله خالق فعله ومحركه

(١) الظاهر أن يقال : ولزمه ـ كقوله وكان احتجاجه عطفا على قوله اتبع ضده ـ الذي هو جواب فمن لم يتبع شرع الله ودينه . ولو قال : واتبع ضده ، عطفا على قوله : لم يتبع ـ لكان قوله : لزمه الخ هو جواب الشرط ولم يصح عطفه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا من غاب عن المشهود ، أو كان من أهل الجحود . (قيل) فيقال لك وشهود هذا وجحود هذا من القدر فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا . فان كان موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محموداً وبعضهم مذموما مع شمول القدر لهما ، وهذا رجوع الى الفرق ، واعتصام بالامر والنهي ، وحينئذ فقد نقضت اصلك وتناقضت فيه . وهذا لازم لكل من معك فيه. ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة ،

فمن جعل الايمان بالقدر وشهوده عذراً في ترك الواجبات وفعل المحظورات(١) بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات ، وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات، فلو اشرك مشرك بالله وكذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناظراً الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافرا لتكذيبه ، ولا مانعا من تعذيبه ، فان الله لا يغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقراً بالقدر وناظراً اليه، أو مكذبا به أو غافلا عنه ، بل قد قال ابليس (فبما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين) فأصر واحتج بالقدر، فكان ذلك زيادة في كفره ، وسببا لمزيد عذابه. وأما آدم عليه السلام فانه قال (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو

---

(١) سقط من هنا جواب : فمن جعل ـ والمعنى من جعل الايمان بالقدر عذرا لمن عصى الله واشرك به ـ لزمه كون هذا الايمان منكرا من المنكرات وضلالة من الضلالات ، وليس الامر كذلك — بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التواب الرحيم) فمن استغفر وتاب كان آدميا سعيداً . ومن أصر واحتج بالقدر كان ابليسا شقيا . وقد قال تعالى لابليس (لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)

وهذا الموضع ضل فيه كثير من الخائضين في الحقائق فانهم يسلكون انواعا من الحقائق التي يجدونها ويذوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الامر فيضاهون المشركين الذين كانوا يبتدعون دينا لم يشرعه الله ويحتجون بالقدر على مخالفة امر الله

﴿والصنف الثالث﴾ من الضالين في القدر من خاصم الرب في جمعه بين القضاء والقدر والامر والنهي كما يذكر ذلك على لسان ابليس، وهؤلاء خصماء الله واعداؤه . وأما أهل الايمان فيؤمنون بالقضاء والقدر والامر والنهي ويفعلون المأمور، ويتركون المحظور، ويصبرون على المقدور، كما قال تعالى (من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين) فالتقوى تتناول فعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر يتضمن الصبر على المقدور وهؤلاء اذا أصابتهم مصيبة في الارض أو في انفسهم علموا أن ذلك في كتاب ، وان ماأصابهم لم يكن ليخطئهم ، وما اخطأهم لم يكن ليصيبهم ، فسلموا الامر لله وصبروا على ما ابتلاهم به . وأما اذا جاء امر الله فانهم يسارعون في الخيرات ، ويسابقون الى الطاعات ، ويدعون ربهم رغبا ورهبا ، ويجتنبون محارمه ، ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون اليه من تقصيرهم فيما أمر وتعديهم لحدوده ، علما منهم بأن التوبة فرض على العبد دائما واقتداء بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح « أيها الناس توبوا الى ربكم فوالذي نفسي بيده اني لاستغفر الله وأتوب اليه اكثر من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سبعين مرة » وآخر سورة نزلت عليه (اذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)

*

واذا عرف هذان الاصلان فعليهما يبني جواب مافي هذا السؤال من الكلمات ؛ ويعرف مادخل في هذه الامور من الضلالات

بدء الجواب عن كلمات أهل الوحدة

فقول القائل « ان الله لطف ذاته فسماها حقا ، وكثفها فسماها خلقا » هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد وهو باطل فان اللطيف ان كان هو الكثيف فالحق هو الخلق ولا تلطيف ولا تكثيف. وان كان اللطيف غير الكثيف فقد ثبت الفرق بين الحق والخلق، وهذا هو الحق . وحينئذ فالحق لا يكون خلقا فلا يتصور أن ذات الحق يكون خلقا بوجه من الوجود كما أن ذات المخلوق لاتكون ذات الخالق بوجه من الوجوه

وكذلك قول الآخر ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازا فانه ان كان الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد ، وان لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور واحتجاب

ثم قوله «فمن كان من أهل الحق شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل الفرق شهدها ستورا وحجبا كلام ينقض بعضه بعضا فانه ان كان الوجود واحدا لم يكن أحد الشاهدين عين الآخر ولم يكن الشاهد عين المشهود. ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء من قال ان في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له آخر فمن الذي يكذب؟ فأفحمه. وهذا لانه اذا لم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان (هو) الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب . وهكذا يصرح به أئمة هؤلاء كما يقول صاحب الفصوص وغيره انه موصوف بجميع صفات الذم ، وانه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمصائب والنقائص، كما انه هو الذي يوصف بنعوت المدح والذم، قال فالعلي لنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات الثبوتية والسلبية سواء كانت محمودة عقلا وعرفا وشرعا أو مذمومة عقلا وعرفا وشرعا، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة، وقال ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وقد اخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق، فكلها حق له كما أن صفات المخلوق حق للخالق

وقول القائل * لقد حق لي عشق الوجود واهله * يقتضي أن يعشق ابليس وفرعون وهامان وكل كافر ، ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعذرة وكل خبيث ، مع انه باطل شرعا وعقلا فهو كاذب في ذلك متناقض فيه، فانه لو آذاه مؤذ وآلمه ألما شديدا لا يغضب محرم شرعا

وما ذكر عن بعضهم من قوله: « عين ما ترى ذات لا ترى ، وذات لا ترى عين ما ترى» هو من كلام ابن سبعين وهو من أكابر أهل الالحاد، أهل الشرك والسحر والاتحاد ، وكان من أفاضلهم واذكيائهم واخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة

وقول ابن عربي :ظاهره خلقه ، وباطنه حقه . هو قول أهل الحلول وهو متناقض في ذلك فانه يقول بالوحدة فلا يكون هناك موجودان أحدهما باطن والآخر ظاهر . والتفريق بين الوجود والعين ، تفريق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا حقيقة له بل هو من اقوال أهل الكذب والمين

وقول ابن سبعين : «ربٌّ هالك، وعبد مالك ، وانتم ذلك ، الله فقط والكثرة وهم» موافق لاصله الفاسد في أن وجود المخلوق وجود الخالق ولهذا قال: وانتم ذلك، فانه جعل العبد هالكا أي لا وجود له فلم يبق إلا وجود الرب ، فقال وانتم ذلك، وكذلك قال: الله فقط والكثرة وهم. فانه على قوله لا موجود إلا الله . ولهذا كان يقول هو واصحابه في ذكرهم ليس إلا الله بدل قول المسلمين لا إله إلا الله وكان يسميهم الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني الليسية ويقول احذروا هؤلاء الليسية. ولهذا قال: الكثرة وهم . وهذا تناقض ، فان قوله وهم يقتضي متوهما فان كان المتوهم هو الوهم فيكون الله هو الوهم وان كان المتوهم هو غير الوهم فقد تعدد الوجود. وكذلك: ان كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل، وهذا مع انه كفر فانه يناقض قوله الوجود واحد. وان كان المتوهم غيره فقد اثبت غير الله وهذا يناقض اصله. ثم متى اثبت غيرا لزمت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقا

والبيتان المذكوران عن ابن عربي مع تناقضهما مبنيان على هذا الاصل فان قوله * ياصورة انس سرها معنائي * خطاب على لسان الحق يقول لصورة الانسان يا صورة انس سرها معنائي . أى هي الصورة وانا معناها . وهذا يقتضي أن المعنى غير الصورة وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنى والصورة فان كان وجود المعنى هو وجود الصورة كما يصرح به فلا تعدد. وان كان وجود هذا غير وجود هذا تناقض وقوله *ماخلقك للامر ترى لولائي * كلام مجمل يمكن أن يراد به معنى صحيح أي لولا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخالق لما وجد المكلفون ولا خلق لامر الله. لكن قد عرف انه لا يقول بهذا . فان مراده الوحدة والحلول والاتحاد . ولهذا قال

شئناك فانشأناك خلقا بشرا كي تشهدنا في اكمل الاشياء

فبين أن العبيد يشهدونه في اكمل الاشياء وهي الصورة الانسانية وهذا يشير الى الحلول وهو حلول الحق في الخلق لكنه متناقض في كلامه فانه لا يرضى بالحلول ولا يثبت موجودين حل أحدهما في الآخر بل عنده وجود الحال هو عين وجود المحل لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود فوجود الحق حل في ثبوت الممكنات وثبوتها حل في وجوده وهذا الكلام لا حقيقة له في نفس الامر فانه لا فرق بين هذا وهذا لكنه هو مذهبه المتناقض في نفسه

وأما الرجل الذي طاب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الاب: فقال طف ببيت ما فارقه الله طرفة عين قط.. فهذا كفر باجماع المسلمين . فان الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله . وأما الطواف بالانبياء والصالحين ، فحرام باجماع المسلمين. ومن اعتقد ذلك دينا فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره ، وقوله ما فارقه الله طرفة عين قط ان أراد به الحلول المطلق العام فهو مع بطلانه متناقض فانه حينئذ لا فرق بين الطائف والمطوف به. فلم يكن طواف هذا بهذا اولى من العكس بل هذا يستلزم أنه يطاف بالكلاب والخنازير والكفار والنجاسات والاقذار وكل خبيث وكل ملعون لان الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله وقد قال مرة . شيخهم الشيرازي لشيخه التلمساني وقد مر بكلب اجرب ميت: هذا أيضا من ذات الله. فقال: وثم خارج عنه؟ ومر التلمساني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومعه شخص فاجتازا بكلب فركضه الآخر برجله فقال لا تركضه فانه منه . وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين فانه متناقض فان الراكض والمركوض واحد ، وكذلك الناهي والمنهي ، فليس شيء من ذلك بأولى بالامر والنهي من شيء ، ولا يعقل مع الوحدة تعدد. واذا قيل مظاهر ومجالى - قيل ان كان لها وجود غير وجود الظاهر المتجلى فقد ثبت التعدد وبطلت الوحدة وان كان وجودهذا هو وجود هذا لم يبق بين الظاهر والمظهر والمتجلي فيه (١) فرق ، وان أراد بقوله ما فارقه الله طرفة عين - الحلول الخاص - كما تقول النصارى في المسيح لزمه ان يكون هذا الحلول ثابتا له من حين خلق كما تقوله النصارى في المسيح فلا يكون ذلك حاصلا له بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه وحينئذ فلا يكون فرق بينه وبين غيره من الآدميين فلماذا يكون الحلول ثابتا له دون غيره ؟ وهذا شر من قول النصارى فان النصارى ادعوا ذلك في المسيح لكونه خلق من غير أب والشيوخ لم يفضلوا في نفس التخليق وانما فضلوا بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد وهذا امر حصل لهم بعد ان لم يكن فاذا كان هذا هو سبب الحلول وجب أن يكون الحلول فيهم حادثا لا مقارنا لخلقهم وحينئذ فقولهم إن الرب مافارق ابدانهم أو قلوبهم طرفة عين قط كلام باطل كيفما قدر

وأما ماذكر عن رابعة من قولها عن البيت انه الصنم المعبود في الارض - فهو كذب على رابعة ولو قال هذا من قاله لكان كافراً يستتاب

(١) لعل اصله : والمجلى والمتجلي فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فان تاب والا قتل وهو كذب فان البيت لا يعبده المسلمون ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة اليه، وكذلك ما نقل من قولها: والله ما ولجه الله ولا خلا منه . كلام باطل عليها. وعلى مذهب الحلولية لا فرق بين ذاك البيت وغيره في هذا المعنى فلاي مزية يطاف به ويصلى اليه ويحج دون غيره من البيوت؟

﴿ وقول القائل ﴾ ما ولج الله فيه كلام صحيح، وأما قوله ما خلا منه فان أراد أن ذاته حالة فيه أو ما يشبه هذا المعنى فهو باطل وهو مناقض لقوله ما ولج فيه، وان أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوج ولم يزل غير حال فيه فهذا مع انه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت اذا الموجودات كلها عندهم كذلك

وأما البيتان المنسوبان الى الحلاج

سبحان من اظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

فهذه قد تعين بها الحلول الخاص كما تقوله النصاري في المسيح وكان أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج يذب عنه فلما انشد هذين البيتين قال لعن الله من قال هذا وقوله

عقدا الخلائق في الاله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فهذا البيت يعرف لابن عربي فان كان قد سبقه اليه الحلاج وقد تمثل هو به فأضافته الى الحلاج صحيحة وهو كلام متناقض فان الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد . والقضيتان المتناقضتان بالسلب والايجاب على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجه يلزم من صدق احداهما كذب الاخرى لا يمكن الجمع بينهما وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما ينافض صريح العقل وانهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول. ولا ريب أن هذا من أفسد ماذهب اليه أهل السفسطة ومعلوم أن الانبياء عليهم السلام اعظم من الاولياء، والانبياء جاؤا بما تعجز العقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه فهم يخبرون بمحارات العقول، لا بمحالات العقول، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات العقول صحيحة، وان الجمع بين النقيضين صحيح، وأن ماخالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح. ولا ريب أنهم أصحاب خيال واوهام يتخيلون في نفوسهم اموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتة في الخارج وانما هي من خيالاتهم والخيال الباطل يتصور فيه مالا حقيقة له ولهذا يقولون ارض الحقيقة هي ارض الخيال كما يقول ذلك ابن عربي وغيره ولهذا يحكون حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض وكان من شيوخهم. وأما قوله

بيني وبينك إنيٌّ تزاحمني فارفع بحقك إنيي من البين

فان هذا الكلام يفسر بمعان ثلاثة يقوله الزنديق، ويقوله الصديق فالاول مراده به رفع ثبوت إنيته حتى يقال لذ وجوده هو وجود الحق وانيته هي انية الحق فلا يقال إنه غير الله ولا سوى. ولهذا قال سلف هؤلاء الملاحدة إن الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة، فقيل وهذا القول مع مافيه من الكفر والالحاد فهو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متناقض ينقض بعضه بعضا فان قوله * بيني وبينك اني تزاحمني * خطاب لغيره واثبات انية بينه وبين ربه وهذه اثبات امور ثلاثة وكذلك يقول * فارفع بحقك اني من البين * طلب من غيره ان يرفع انيته وهذا اثبات لامور ثلاثة

وهذا المعنى الباطل هو الفناء الفاسد وهو الفناء عن وجود السوى فان هذا فيه طلب رفع الانية وهو طلب الفناء، والفناء ثلاثة أقسام فناء عن وجود السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن عبادة السوى فالاول هو فناء أهل الوحدة الملاحدة كما فسروا به كلام الحلاج وهو ان يجعل الوجود وجودا واحدا وأما الثاني وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكي عن ابي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام وهو أن يغيب بوجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره، فيظن من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكي ان رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك إني. فهذا حال من عجز عن شيء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله فمن طلب رفع انيته بهذا الاعتبار لم يكن محمودا على هذا ولكن قد يكون معذورا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مؤتمر الخلافة (*)

وأتمروا بينكم بمعروف

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله *

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الى الصراط المستقيم ، وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان

كان للمسلمين ملك عظيم امتد يمينا وشمالا فبسط جناحيه على المشرق والمغرب فأظلنا أعظم ممالك العمران ما بين الطرف الغربي من أوربة وحدود الصين في الشرق الاقصى ، وما بين المحيط الجنوبي الى أحشاء أوربة في الشمال ، وكان لهم في هذا الملك العظيم من الدول العزيزة والسلطان الكبير ، ما فصلت أخباره في الاسفار الكثيرة من خزائن التاريخ ،

كانوا كلما سقطت دولة من دولهم بخروج أمرائها وسلاطينها عن هداية الشرع العدل ، وسنن الله المطردة في العمران ، خلفتها دولة أخرى أعز منها شأنا ، وأقوى سلطانا

كانوا أمة واحدة تدبر أمورها دولة واحدة ، ثم تعددت فيها الدول وهي أمة واحدة ، لأنها كانت لاتزال تحيا بروح الاسلام ، الذي ساوى بين الشعوب والاقوام ، وجعل التفاضل بين الناس بالعلم والعمل ، دون القومية والنسب ، حتى كان مثل البخاري وأبي حنيفة من سلائل الفرس ، معدودين من أكبر أئمة السنة والفقه ، ومثل نور الدين الشهيد وصلاح الدين الايوبي من سلائل

*) رغب الينا السكرتير العام للجنة مؤتمر الخلافة أن نكتب مقالة في موضوعه ووجه الحاجة اليه لتنشر في صدر الجزء الاول من مجلة المؤتمر التي تصدر في هذا الشهر فكتبنا هذه المقالة ثم رأينا ان ننقلها في مجلتنا ليطلع قراؤنا عليها وهي هذه :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الترك والكرد ، مفضلين على كثير من خلفاء قريش في الحكم

ومن طرائف شهادة التاريخ على هذا ما ذكره ابن جبير الاندلسي في رحلته واصفا خطبة الجمعة في الحرم المكي الشريف (سنة ٥٧٩) قال : ثم دعا الخطيب ـ للخليفة العباسي أبي العباس أحمد الناصر ثم لامير مكة مكثر بن عيسى بن فليته ابن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسني ، ثم لصلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب ولولي عهده أخيه أبي بكر بن أيوب . وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء تخفق الالسنة بالتأمين عليه من كل مكان

واذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وحق ذلك عليهم ، لما يبذله من جميل الاعتناء بهم ، وحسن النظر لهم ، ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم ، وفي هذا التاريخ علمنا بأن كتابه وصل الى الامير مكثر وأهم فصوله التوصية بالحاج والتأكيد في مبرتهم وتأنيسهم ورفع أيدي الاعتداء عنهم ، والايعاز في ذلك الى الخدام والاتباع والاوزاع وقال : انما نحن وأنت متقلبون في بركة الحاج ـ فتأمل هذا المنزع الشريف ، والمقصد الكريم ـ الى آخر ماقال

والعبرة فيه ظهور تفضيل حجاج الشعوب الاسلامية كلها مع أهل الحرم للسلطان الكردي ، على الخليفة القرشي والامير العلوي ، وذكر في غير هذا الموضع من الرحلة أن أمير مكة كان من أشد هؤلاء الامراء في الالحاد بالظلم في حرم الله تعالى وانه انتزع مفتاح بيت الله من وارثه زعيم الشيبيين محمد بن اسماعيل وأمر بالقبض عليه وانتهاب منزله وصرفه عن حجابة البيت الحرام طهره الله تعالى ، (قال) والحال يشبه بعضها بعضا (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) والى الله المشتكى من فساد ظهر حتى في أشرف بقاع الارض ، وهو حسبنا ونعم الوكيل اه

وأعظم مما ذكره ابن جبير رحمه الله في الاعتبار ان الظلم والفساد في الحرم تسلسل في هؤلاء الامراء المكيين ، الذين يفضلون أنفسهم بنسبهم على جميع الصالحين والمصلحين ، الى أن بلغ أشده في هذه السنين ، من التغلب الذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ادعى حق الملك على جميع العرب والخلافة على جميع المسلمين ، وصرحت جريدته بأنه نال هذا بالرغم من أهل السموات والارض أجمعين ، فأخرجه الله تعالى منها مذؤما مدحورا ، مأفونا مثبورا ، منبوذاً مهجوراً ، (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين)

* * *

ما فعل الله تعالى بذلك الملك العظيم ؟ وماذا بقي منه لا كثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين ؟ وكيف وجد من ضعف ، ثم كان من بعد ضعف قوة ، ثم ذهبت تلك الدول والشعوب شذرمذر ، وصارت عبرة لمن اعتبر ؟ وهل يرجى أن يعود الاسلام كما بدا ؟ وكيف السبيل الى ذلك؟ وكيف تفرقوا في الدين فكانوا شيعا والملة واحدة، وتفرقوا في الاجناس والاقوام والاوطان والامة واحدة؟

لقد نزل ما نزل بالمسلمين وهم غافلون ، وأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون ، وضحى وهم يلعبون ، فضرب على آذانهم في كهف الجهل بضعة قرون ، ثم تأذن الله تعالى ببعثهم من رقادهم ، وهداهم الى التفكر في حالهم وحال آبائهم الاولين ، وخلفائهم الراشدين ، وملوكهم الفاتحين ، فاختلفوا في أسباب ما كان من قوة وضعف ، وعز وذل ، بما رسخ في شعوبهم من الجهل ، وما طرأ عليها من البدع ، وما سرى اليها من نعرة الجنسية ، وعصبية الجاهلية ، وما تغلغل فيها من الدسائس الاجنبية ، والتعاليم المادية الالحادية ، فذهب أهل البصيرة منهم الى أن ترك هداية الدين الاولى والابتداع والتفرق فيه هو الذي أضاع ملكهم ، وذهب بمدنيتهم ، لان هذه الهداية كانت هي السبب لها ، وما حصل بسبب زال بزواله . وزعم آخرون أن الاخذ بالدين هو سبب هذا الضعف والجهل بشبهة اشتراك جميع شعوب المسلمين فيه وليس بينهم جامعة مشتركة يعلل بها الا الدين ، وفاتهم أن الجهل بحقيقته والابتداع فيه والاعراض عن هدايته الاولى علة فاشية في جميع تلك الشعوب أيضا — فهؤلاء يقولون لا يمكن أن نسترجع مجدنا ونجدد ملكنا الا بنبذ الدين ظهريا كما فعل الفرنسيس ومن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بينهم من الافرنج ، واستبدال الرابطة القومية والعصبية الوطنية بالجامعة الاسلامية ، وأولئك يقولون إننا لا ننال ذلك الا بما ناله سلفنا ، وان الافرنج لم ينجحوا في دنياهم الا بعد الاصلاح الديني لا بعد نبذ هداية الدين ظهريا ، وانهم لا يزالون يبذلون الملايين من الجنيهات في تعليمه ونشره

ومن فروع هذ الخلاف قول متفرنجة الترك إن منصب الخلافة وشكل الحكومة الاسلامية علة العلل لضعفهم وزوال سلطنتهم العظيمة ، ورد بعض العارفين عليهم أن الاسلام هو الذي كان علة تأسيس تلك السلطنة العظيمة وان الخروج عن هدايته هو الذي كان علة ضعفها وزوالها ، وان منصب الخلافة لم يكن عندهم الا لقبا من ألقاب الفخر والشرف ، على أنه كان قوة معنوية لهم وان لم يترتب عليه عمل

وبين هذين الفريقين السواد الاعظم من الجامدين على ما ألفوا من حق وباطل ، وما تقلدوا من سنة وبدعة ، ينظرون الى كل منهما بمنظار واحد ، فمنهم من يرمي الفريقين بالكفر والالحاد ، وأقلهم جمودا من ينبز طلاب الاصلاح بلقب الابتداع ، ولم يبق للمسلمين رياسة عامة محترمة يردّ اليها هذا النزاع ، لتفصل فيه فصلا معقولا ، يرجى أن يكون مقبولا ، مهتدية بقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ـ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض) ، فلا يتكلم باسم الاسلام من ليس منه ولا يعطي فيه حق الحل والعقد

قد ظهر في المسلمين مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لتبعتموهم » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : اتبعوا سننهم في البدع حتى انتهت ببعضهم الى المروق من الاسلام نفاقا ثم جهارا ، ثم الى محاربته بدعوى إصلاح حكومته أو اصلاح أهله ، وقد شرع الترك في تأسيس حكومة غير دينية في بلادهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان هذه الفوضى الدينية في العالم الاسلامي قد حيرت الباحثين في طرق الاصلاح الديني والمدني حتى كتب بعض الباحثين من كتاب المصريين بأنه قد ثبت عنده بعد التروي في السنين الطوال أن المسلمين لن يرجعوا الى دينهم ثانية الا بعد أن يتركوه تركا تاما، ثم هم يعيدون النظر فيه سالكين منهاجا غير المناهج المسلوكة منذ قرون في تلقينه ودرسه ! ! وإنه لرأي بمعزل من الصواب، رجحه في نظره فشل دعاة التجديد والاصلاح . وفشو الفسوق والالحاد . وسبق الملاحدة الى المناصب الدولية ، وفوزهم في أعمال العمران ، ونجاحهم في جذب النابتة ، وشر من ذلك كله سكوت زعماء الجمود عنهم ، وانضمامهم لدعاة الاصلاح من دونهم ، ونحن على علمنا بهذا نفند رأي هذا الباحث نقضا ومناقضة ومعارضة ، واننا نبحث في هذه المسألة من زهاء ثلث قرن كتابة وخطابة ومناظرة، ومراسلة بيننا وبين المفكرين في مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها ، مع السباحة في أم أقطارها ، فكانت ثمرة البحث أن الطريقة المثلى للاصلاح دونها موانع فلم تسلك، والرجاء أن يكون قد زال الآن ما دونها من العوائق والعقاب ، وفتح ما كان مغلقا أمامها من الابواب

ما هذه الطريقة المثلى ؟ قيل لموقظ الشرق وحكيم الاسلام : إن علل ضعف المسلمين كثيرة فهل لهذه العلل من علة ترجع كلها اليها ، فتوجه جهود الاصلاح لازالتها فيصلح كل شيء بالتبع لها ، اذ يكون مكانها كمكان القلب من الجسد اذا صلح صلح الجسد كله ، واذا فسد فسد كله ، كما ورد في التمثيل النبوي ؟ قال : نعم ، إن الامر الذي يجب على المسلمين أن يوجهوا جهودهم الى ايجاده هو « السلك » انقطع السلك الذي كان نظام وحدتهم الدينية والدنيوية، فانتثر الحب ، ولن ينتظم الا بسلك .

ونقول نحن في بيان مراد ذلك الحكيم : إنما كان السلك الاول نظام الخلافة المؤيدة في الباطن بوازع الدين، وفي الخارج بتأييد أهل الحل والعقد من المسلمين ، قام الخلفاء الراشدون بما حق القيام، ثم عدت بعصبية القومية الجاهلية، فعصبية التشيع المذهبي،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فضعف الوازع الديني المؤيد لها في الباطن رويدا رويدا، وانحصر الحل والعقد في عصبية المتغلب شيئا فشيئا ، فتمزق بذلك شمل المسلمين ، وصار أمرهم كالكرة بين صوالجة المتغلبين ، وصارت الامة أمما متعادية ، والدولة دولا متقاتلة ، وسبب هذه المصائب كلها عدم وضع نظام للحكم ، يكون السلطان فيه لمن تختارهم الامة للحل والعقد ، من غير قيد ولا حصر الا في حدود الشرع ،

شرع الاسلام مبني على جعل أمر المسلمين شورى بينهم ، وكل ما ليس فيه نص قطعي مفوضا الى اجتهاد أولي الامر منهم ، وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باستشارتهم في الامر ، وقيد الطاعة في مبايعته بقوله (ولا يعصينك في معروف) حتى لا يتجرأ أحد من أمراء المسلمين على دعوى الاستغناء عن المشاورة ، ولا على دعوى وجوب الطاعة المطلقة . وقد جرى خلفاؤه الراشدون على هديه في ذلك فقال الخليفة الاول في خطبته الاولى على منبره عقب المبايعة مخاطبا لجماعة المسلمين : فاذا استقمت فأعينوني ، واذا زغت فقوموني . وتبعه الخليفة الثاني بقوله : من رأى منكم فيّ عوجا فليقومه . وقال الخليفة الثالث على المنبر أيضا : أموري لامركم تبع . وقد جروا كلهم على ذلك بالعمل ، ينفذون نصوص الكتاب وما ثبت في السنة ، ويشاورون أهل العلم والرأي في جميع الامور الاجتهادية .

وهذا معنى ما ورد من الاحاديث الصحيحة في التزام الجماعة وكون من شذ عنها في النار ، وهو ما عبر عنه بعض كبار العلماء بحق الامة أي سلطة الامة وعللوه بأنها هي التي ورد الحديث بأنها لا تجتمع على ضلالة ، وانما يمثل الامة في المسائل العلمية أئمتها المجتهدون ، وفي سياستها وادارتها أهل الحل والعقد منهم ومن سائر رجالها الموثوق بكفايتهم في المصالح الدنيوية ولا سيما الحربية ، التي صارت في هذا الزمان تتوقف على فنون كثيرة . قال الحافظ ابن حجر في الكلام على مبايعة عثمان من شرحه للبخاري : والذي يظهر من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد أنه كان لا يراعي الافضل في الدين فقط بل يضم اليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع فلاجل ذلك استخلف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(أي أمّر) معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل منهم في أمر الدين والعلم كأبي الدرداء في الشام وابن مسعود في الكوفة اه

ومن أقوال كبار العلماء في سلطة الامة وكون الرأي لها في نصب الامام وعزله قول الامام الرازي في تعريف الخلافة : هي رياسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص . وقال في القيد الذي زاده في التعريف على غيره : هو احترز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لفسقه . قال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ذكر هذا القيد وتعليله : وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رياستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الامة اه . وأراد السعد بهذا التوجيه ازالة اشكال من عساه يقول : اذا كانت الرياسة للامة فمن المرءوس ؟

وجملة القول ان الاسلام قد بين أصول حكومة الشورى وانما قصر المسلمون في عدم وضع نظام يكفل تنفيذ أحكامها بالعمل ، ويكفل سلطة أهل الحل والعقد الممثلين للامة في كل زمان بحسبه . وحكمة عدم وضع الشرع لهذا النظام انه يختلف باختلاف الزمان والمكان وأحوال الاجتماع ولذلك فوضه الى الامة ، وقد كان استبداد الذين جعلوا الخلافة ملكا يورث مانعا من ذلك الى آخر عهد آل عثمان ، حتى لم يكن أحد يتجرأ على الدعوة الى تقييد سلطتهم ، ولو في غير بلادهم التي تنفذ فيها أحكامهم ، ولم ننس ما كان مسلمو مصر والهند يرمون به كل من كان يشكو من ظلم عبد الحميد المستبد ثم من استبداد الاتحاديين ، ثم ما كان من شأنهم في الغلو في اطراء الكماليين ، ثم في الاتحاء عليهم والتشهير بهم

لهذا رجونا أن تكون الموانع دون سلوك الطريقة المثلى للاصلاح الاسلامي قد زالت فأصبح ميسرا ما كان متعذرا . وفتح من الابواب له ما كان مغلقا ، وما ذلك الا بالغاء الترك للخلافة التركية الصورية التي لم تكن تعمل للاسلام ولا تدع أحدا يعمل له

فالمطلوب الآن ايجاد السلك ووضع النظام ، وان يكون بالتشاور بين علماء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمين الدينيين والسياسيين والاداريين والعسكريين والماليين والحاذقين لسائر الفنون التي عليها مدار العمران وعزة الامم وكرامتها، ولا يكون هذا الا بعقد مؤتمر اسلامي عام، وهو ما كنا ندندن حوله منذ أنشأنا المنار. واقترحنا في ذلك الوقت مرارا أن يكون في ظل بيت الله الحرام، توجيها للقلوب، وتحريكا للعقول، على أن الموانع كانت على أشدها، وآمال المسلمين محصورة في الآستانة وحدها، ولذلك اقترح بعض الكتاب يومئذ ان يكون المؤتمر فيها، كما اقترح ذلك بعضهم بعد زوال الدولة العثمانية وما حل بخلافتها، لان ما رسخ في العقول والقلوب بتوالي القرون لا يزول في أشهر قليلة، ولا في سنين معدودة

قد كان ما كتبناه نحن وغيرنا في هذا الموضوع تمهيدا وإعداداً للامة، ولا تقوم الامم بعمل مفيد إلا بعد تمام الاستعداد للنهوض به، ورجحان المقتضي له على المانع منه، وهذا ما نرجو ان نكون قد وصلنا اليه أو أوشكنا. أما المانع فقد زال، وأما المقتضي فلا مراء فيه، وبقي استعداد الامة هل تم أم لا؟ وهو ما يظهره عقد المؤتمر

كانت الخلافة العثمانية هي المانع الاكبر، ولا سيما بعد ان عجز السلطان عبدالحميد عما حاوله من تجديد نفوذ الخلافة ونشره، واستحوذت عليه الوسوسة، واتهام كل طالب للاصلاح حتى السيد جمال الدين الافغاني الذي كان المبتكر لهذه الفكرة، والمقنع لكثير من مجتهدي الشيعة بتأييدها. فلما انزل الكماليون بها القارعة الاولى كان من حرص أكثر المسلمين عليها ان رضوا ببقاء اسمها — الخلافة — مجردة من كل معاني الرياسة والحكم، فلما قرعت أسماعهم الصاخة الكبرى بالغاء الاسم وطرد المسمى من الآستانة ورأوا طاغوت الحجاز قد تنحلها لنفسه — فزعوا وأعولوا، ثم تفكروا وتدبروا، فهتف بهم هاتف الالهام الالهي أن توبوا الى ربكم، وثوبوا الى رشدكم، واجعلوا الامر شورى بينكم، كما أرشدكم كتاب الله المنزل، ومضت به سنة نبيه المرسل، وسعد به السلف الاول. فتجاوبت الاصوات من كل مكان: لا بد من عقد مؤتمر اسلامي عام،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اتفقت الشعوب الاسلامية على وجوب عقد المؤتمر ، وكثرة الدعاة اليه ، واختلفوا في الزمان والمكان اللذين يعقد فيهما حتى اذا ارتفع صوت كبار علماء مصر بالتصدي للدعوة اليه ، وضربوا الموعد المعروف له ، ثم صاروا يدعون أهل الرأي والاخصاء في الفنون المختلفة الى الانضواء اليهم ، والاشتراك في ادارة العمل معهم ، خفتت دون صوتهم الاصوات ، وكان أقواها صوت دعي الخلافة في الحجاز ، سل الله تعالى عليه سيف سلطان نجد ، فأخرجه مهزوما مذموما من تلك الارض ، وذلك يضمن لنا اشتراك الحرمين الشريفين في مؤتمر مصر ، بالتبع لاشتراك نجد فيه كما تقرر من قبل .

فهذا أول مؤتمر اسلامي عام يشترك فيه علماء الدين والدنيا من أكبر الشعوب الاسلامية وأوسعها علما وثروة ، وأشدها بأسا وقوة ، والمطلوب الاول منه وضع نظام للامامة العظمى يدخل في بابين (أحدهما) قواعد حكومة اسلامية مدنية يظهر بها علو التشريع الاسلامي على جميع ما اشترعه البشر في العدل والمساواة والجمع بين السياسة والفضيلة التي خلا منها اشتراع القوانين المادية (وثانيهما) قواعد للتربية والتعليم الجامعين بين هداية الدين ومصالح الدنيا ، وتوثيق روابط الاخوة الدينية والتكافل الروحي والتعاون الاقتصادي بين المسلمين على اختلاف شعوبهم ومذاهبهم وتعدد حكوماتهم ، ويدخل في هذا احياء دعوة الدين والدفاع عنه مع اتقاء السياسة من كل وجه . والحث على الاشتراك مع جميع الشعوب في خدمة الانسانية العامة ، وترقية الآداب والحضارة في جميع الامم

وأما المطلوب الثاني فهو اختيار خليفة وامام للمسلمين ينفذ القسم الاول من هذا النظام في البلاد الخاضعة لحكمه خاصة مع مراعاة حقوق جميع أصناف سكانها (وصدر الشرع الواسع لا يضيق بشيء من ذلك) ويشرف على تنفيذ القسم الثاني مستعينا بديوان يشترك فيه أعضاء من جميع الشعوب الاسلامية

ونحن نجتهد في أن لا نجعل لاحد حجة علينا بتدخل سياسي سري ولا جهري في مسلمي البلاد الاخرى — ولا حجة علينا في ارتباطنا الديني والادبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع أولئك المسلمين ، بأن يكون هذا الارتباط نحوا مما تأتيه جمعياتهم الدينية في بلادنا وبلاد غيرنا من الاجانب عنهم ، كجمعيات الدعاة المبشرين ، وجمعية الشبان المسيحيين ، وغيرهما ، وهذا النظام أكبر قوة ذاتية لنا ، نتقي بها استمرار هذا الخلل والضعف فينا

ان فائدة النظام الذي نقترحه على المؤتمر في المقصد الديني الادبي ، أكبر منه في المطلب السياسي ، فان سلطان الخليفة السياسي خاص ببعض المسلمين ، وسلطانه الديني الادبي عام لهم ، واكبر فوائده تلافي الفوضى في التعليم الديني ورد عادية البدع ، وكبح جماح الافكار المادية المولدة للزندقه والالحاد ، والنزغات الباطنية وغيرها من الفتن التي أثارتها طبيعة الاجتماع ، وهذه خدمة للبشر من جميع الملل والنحل

فلهذه الغاية الفضلى ندعو أهل الرأي والغيرة والبصيرة من زعماء جميع الشعوب الاسلامية الى اغتنام فرصة إمكان عقد مؤتمر اسلامي عام في أرقى بلاد الاسلام ، فهي فرصة لم يسمح قبل بمثلها الزمان . ونسأله تعالى التوفيق في البدء والختام ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقالات الجمالية

ننشر تحت هذا العنوان ما جمعناه من مقالات موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني الحسيني حفظا لها من الضياع

الشرق والشرقيون

نشرها السيد في جريدة (أبو نظارة زرقاء) التي كانت تصدر بباريس أيام وجوده فيها سنة ١٣٠٠ (سنة ١٨٨٣) وهي مصدرة بمقدمة حكيمة في العقل والنفس والاخلاق . التي هي يتفاضل بها البشر افرادا وجماعات ، ويعلو بعض الامم بعضا في ارتقاء الحضارة ، ويتسابقون في جلبة السعادة والسيادة ، — ويليها المقصد في شعبتين احداهما بيان ماكان للشرقيين من حظ ارتقاء العقل في العلم والبصيرة. وارتقاء النفس في الاخلاق العالية ، ثم ما انتهى اليه حالهم من إهمال النعمتين . والتدهور عن القمتين ، والشعبة الثانية في الشواهد التاريخية على ذلك بما كان من اضاعتهم لممالكهم ، وتخريب بيوتهم بأيديهم — قال رحمه الله

(المقدمة)

الانسان انسان بعقله و بنفسه ، ولولا العقل والنفس لكان الانسان أخس جميع الحيوانات وأشقاها ، لانه في حياته أضيق مسلكا وأصعب مجازا وأوعر طريقا منها ، قد حفت به المكاره ، وأحاطت به المشاق ، واكتنفت به الآلام ، لا يمكنه ان يقوم بمعاشه وهو منعزل عن أبناء نوعه ، ولا يطيق الحر ولا يتحمل الم البرد ولا يقدر على الذود عن نفسه ، وليس له من الآلات الطبيعية ما يثقف به معيشته ، وهو محتاج في ضرويات حياته ومفتقر في الكمال فيها الى الصناعة ، ولا يمكن الحصول عليها الا باجالة الفكرة والتعاون بمن يشاركه في العقل من النوع البشري

والعقل أن تستنبط المسببات من أسبابها ، و يستدل بالعلل على معلولاتها ، وينتقل من الملزومات الى لوازمها ، وتستكشف الآثار حين ملاحظة مؤثراتها ، وتعرف العواقب ضارها ونافعها وتقدر الافعال بمقاديرها على حسب ما يمكن أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يطرأ عليها من الفوائد والخسائر في عاجلها وآجلها، ويتميز الحق من الباطل في الاعمال الانسانية نظرا الى عواقبها .

العقل (أي بهذا المعنى) هو الهادي الى مهيع السعادة ، ومنهج الامن والراحة ، لا يضل من استرشده ، ولا يغوى من استهداه ، ولا يحوم الشقاء حول من ركن اليه ، ولا يعثر في المداحض من عتمد عليه ، ولا يلتبس الحق بالباطل على من استنار بنوره . وان الخير به وليس الشر الا الحيدان عن صراطه القويم ، ومن فقده فاتته السعادة لا محاله ، ولو أخرجت له الارض أفلاذها ، وأسبغت عليه الدنيا نعيمها . وان الامم ما سادت الا بهدايته ، وما ذلت بعد رفيع مقامها وعظم منزلتها الا بعد أن عرضت عن خالص نصحه ، وتوغلت في بيداء غوايتها ، واستعملته في مسالك ضلالتها ، واستخدمته لقضاء أوطار طبائعها الخسيسة ، التي تجلب عليها الشنار ، وتوجب المعرة والصغار

والنفس هي منشأ أخلاق كريمة وأوصاف عقلية ، هي قوام الاجتماعات المدنية والمنزلية ، وأساس التعادل وميزان التكافيء في الموازرات ، ومقياس التوافق في المعاونات ، ولا يمكن التآلف بين القوى المتفرقة لاقتناء ما تقوم به حياة الانسان الا بها ، ولا تلتئم أهوية النفوس المختلفة لاكتساب ضروريات معاشها لا بسببها ، وهي التي تجعل الافراد الانسانية مع تضادّ طبائعها ، بمنزلة شخص واحد يسمى بأعضائه المتخالفة في اشكالها ، وجوارحه المتباينة في هياتها ، الى مقصد واحد لا يمكن الوصول اليه الا باستعمالها ، بحركات قد اختلفت مع وحدة جهتها أوضاعها . وسيادة الامم الغابرة والحاضرة هي من أخص نتائجها ، لانها لا يمكن حصولها الا باتفاق كلمة آحادها ، واجتماع آراء أفرادها ، ولا تتفق الكلمة ولا تجتمع الآراء الا بالتكافيء في المساعي ، والتوازن في تحمل المشاق ، والاشتراك في المنافع ، والمساواة في الحقوق ، والتعادل في التمتع بثمرات الاعمال ، بلا تفاضل ولا استئثار ، وكل هذه في وجودها وبقائها تحتاج الى الاخلاق الكريمة والاوصاف العقلية التي يعرف الانسان حقه ويقف عنده . ولا تشتت أمة ولا اضمحلت سلطة ولا تفرقت جمعية الا بفساد أخلاقها وتطرق الخلل في سجاياها ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لانها بفسادها، وتطرق الخلل فيها، توجب تخالف الايدي وتباعد الاهواء، وتضارب الآراء وتباين الافكار، فيستحيل حينئذ الاجتماع ويمتنع الاتفاق

واذا أمعن البصير في حقيقة الاخلاق الرذيلة يعلم أنها بذاتها تبعث على التفرق والاختلاف، وتمنع من الاجتماع والائتلاف، وما ينشأ عن ذات الشيء لا يمكن زواله ما دامت ذاته باقية، فاذا تمكنت الاخلاق الرذيلة من أمة فلا يرجى لها نجاح، ولا يحصل لها فلاح، ما لم تسع في تعديلها، وتدأب في تقويمها

ويمكن أن يقال ان بين كمال العقل وطهارة النفس وتخلقها بالاخلاق الفاضلة تلازما، لان العقل اذا بلغ كماله يقهر الطبيعة فحينئذ تسلم النفس من سوراتها، وتخلص عن عكر قذفاتها، فتنقاد للعقل مستسلمة له، خاضعة لحكمه، ويستعملها العقل على نهج الحق والعدل — وليست الاخلاق الفاضلة الا أن تزن النفس أعمالها بميزان العدل، ولا تحيد في هواها عن صراط الحق

*

الشعبة الاولى من المقصد في أسباب انحطاط الشرق

وبعد هذه المقدمة يمكن لنا أن نقول إن الشرق بعد ما كان له من الجاه الرفيع، والمقام المنيع، والسلطنة العظيمة، وبسطة الملك وعظم الشوكة، وكثرة الصنائع والبدائع، ووفور الامتعة والبضائع، ورواج سوق التجارة، وذيوع العلوم والمعارف، وشيوع الآداب والفنون — ما هبط عن جليل مرتبته، وما سقط عن رفيع منزلته، ولا استولى الفقر والفاقة على ما كنيه، ولا غلب الذل والاستكانة على عامريه، ولا تسلطت عليه الاجانب، ولا استعبدت أهله الاباعد، الا لاعراض الشرقيين عن الاستنارة بنور عقولهم، وتطرق الفساد في أخلاقهم، فانك تراهم في سيرهم كالبهائم، لا يتدبرون أمرا، ولا يتقنون في أفعالهم شرا، ولا يكدون لجلب النافع ولا يجتنبون عن الضار (١) طرأ على عقولهم السبات، ووقفت افكارهم عن الجولان في اصلاح شؤونهم، وعميت بصائرهم عن ادراك النوازل التي

(١) اجتنب يتعدى بنفسه قال تعالى « الذين يجتنبون كبائر الاثم » الآية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحاطت بهم، يقتحمون المهالك، ويمشون المداحض(١)، ويسرعون في ظلمات أهوية نفوسهم التي نشأت عن أوهامهم المضلة، ويتبعون في مسالكهم ظنونا قادهم اليها فساد طبائعهم، لا يحسون المصائب قبل ان تمس أجسادهم، وينسونها كالبهيمة بعد زوال آلامها، واندمال جراحها، ولا يشعرون لاستيلاء الغباوة على عقولهم، واكفهرار ظلمات غشاوة الجهل على بصائرهم، باللذائذ التي خص الانسان بها من حب الفخار في طلب المجد والعز، وابتغاء حسن الصيت وبقاء الذكر، بل لاستيلاء الغفلة على عقولهم يحسبون أن يومهم دهرهم، والتقمقم كالسارحة(٢) شأنهم، لا يدرون عواقبهم، ولا يدركون مآل أمرهم، ولا يتداركون مافاتهم، ولا يحذرون مايتربصهم(٣) من أمامهم ومن خلفهم، ولا يفقهون ما أكمن لهم الدهر من الشدائد والمصاعب.. ولذا تراهم قد رئموا الذل، وألفوا الصغار، وأنسوا الهوان، وانقادوا للعبودية، ونسوا ماكان لهم من المجد المؤثل والمقام الامثل. وبعد انحدارهم عن ذروة العقل الذي لا كرامة للانسان الا به، غلبت عليهم الخسة والنذالة، ورانت على قلوبهم القسوة والجفاء وتمكن من نفوسهم الظلم والجور، واستولى عليهم العجب، لا عن جاه يدعو اليه، ولا عن فضيلة تبعث عليه، وتظاهروا مع الذل المتمكن من قلوبهم بالكبر والعظمة، وفشا بينهم الشقاق والنفاق، وتلبسوا بالغدر والخيانة، واستشعروا الحسد والنميمة، وتسربلوا بالحرص والشره، وتجاهروا بالوقاحة والشراسة، واتسموا بالخشية والجبانة، وانهمكوا في الشهوات الدنية، وخاضوا في اللذات البدنية، وتخلقوا بالاخلاق البهيمية، متوسدين الكسالة والفشل، واتصفوا بصفات الحيوانات الضارية، يفترس قويهم ضعيفهم، ويستعبد عزيزهم ذليلهم، يخونون أوطانهم ويظلمون جارهم، ويستلبون أموال ضعفائهم، ويخوسون بعهودهم(٤)، ويسعون في خراب بلادهم، ويمكنون

(١) أي فيها وهي جمع مدحضة حيث تدحض الرجل أي تزل

(٢) السارحة البهيمة التي تسرح للمرعى والتقمقم والتقمم أخذ الشاة ما على وجه الارض بمقتمها وأكله وكذلك تتبع الانسان ما على المائدة وأكله كله

(٣) تربصه الأمر: نتظره، وتربصه به: توقع نزوله به ومنه (نتربص به ريب المنون)

(٤) خاس يخيس خيسا كذب ـ وخاس بالعهد خيسا وخيسانا غدر ونكث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاجانب ديارهم، لايحمون ذماراً، ولا يخشون عاراً، عالمهم جاهل، وأميرهم ظالم، وقاضيهم خائن، ليس لهم هاد فيرشدهم الى سبيل نجاتهم، ولا زاجر فيكفون عن التمادي في غيهم، ولا وازع يقدع الجائرين عن نهش عظام فقرائهم،

وصاروا جميعا بسخافة عقولهم وفساد أخلاقهم عرضة للهلاك

(لها بقية وهي الشواهد التاريخية)

الطور الجديد للمسالة العربية

ذكرنا في الجزء السادس الذي قبل هذا ان المسألة العربية دخلت في طور جديد بخروج سلطان نجد من عزلته السياسية وتصديه لانقاذ الحجاز من حسين بن علي مفرق الجماعات ومثار الفتن وموبق الامة العربية بادخاله النفوذ بل السلطان الاجنبي في جزيرة العرب ، فقد زحفت الجيوش النجدية بالفعل على الحجاز وسبقتهم العشائر الحجازية التي تدينت بدعوة نجد الى الطائف وبعد مقاومة شديدة من حاميتها الحجازية وهي أكبر قوة للملك حسين احتلوا الطائف عنوة وانهزم القائد العام للجيش الحجازي وهو الامير علي ولي العهد لوالده فتحصن في موقع منيع يقال له الهدى (بفتح الهاء) فزحف عليه الاخوان فأخذوه عنوة وولي الامير مدبرا الى موقع آخر على طريق عرفات يقال له (كرى) فزحفوا عليه فانهزم الى مكة فوقف الاخوان لان السلطان عبد العزيز آل سعود لم يأذن لهم بدخول مكة فانحين ، وفي أثناء ذلك طفق الملك حسين يمطر عالم الشرق وعالم الغرب برقيات من الطعن في الوهابيين ليهيج عليهم مسلمي الارض ودول أوربة فرأينا من الواجب علينا أن نبادر الى كتابة مقالات في الحقائق المتعلقة بهذه المسألة وننشرها في جريدة الاهرام اليومية الواسعة الانتشار ثم اقترح علينا ان ننشر هذه المقالات في المنار تباعا وهاهي ذي :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوهابيون والحجاز

(١)

لو حدثت إغارة الوهابيين على الحجاز في عهد الدولة العثمانية لقامت قيامة العالم الاسلامي ولرأيت الجرائد العربية في الشرق والغرب والجرائد التركية والهندية والفارسية والتتارية والملاوية تشن عليهم غارة التضليل والتكفير، وتجمع الاعانات المالية لقتالهم بالقناطير، ذلك لما كان لجماهير الشعوب الاسلامية من حسن الظن وقوة الرجاء بالدولة ومن سوء الظن بالوهابيين، أما وقد حدثت في هذا العهد فاننا نرى ضلع الرأي الاسلامي العام مع الوهابيين لان ما كان خفيا من قوة دينهم واعتصامهم بالسنة ورفضهم للبدع وكراهتهم للسلطة أو النفوذ الاجنبي قد ظهر لخواص المسلمين وبدأ يظهر لعوامهم، ولان جميع الشعوب الاسلامية تمقت هذا الرجل الذي تولى أعداء الاسلام في الحرب والسلم فنصرهم على المسلمين واعتمد عليهم في طمعه في خلافة الاسلام وملك العرب تحت ظلهم وحمايتهم، فبمساعدته ومساعدة أولاده استولوا على البلاد العربية التي هي مهد حضارة الاسلام من حدود مصر الى خليج فارس، ويحاولون جعل ما بقي للعرب من عقر دارهم في جزيرتهم المقدسة تحت ظل تلك الدولة التي جعلته ملكا مستبدا في الحجاز، ليهون على أهله وضعه تحت سيادتهم مباشرة في يوم من الايام. وسمت أحد أولاده ملك العراق، وآخر منهم أمير الشرق العربي أو أمير شرق الاردن، ويطمع أن تسميه ملك فلسطين ليخضع لها مسلميها كما أمنها تعدي الاعراب المجاورين لها

فقد ظهر لجميع شعوب العالم الاسلامي أن هذا الرجل وأولاده هم شر نكبة نكب بها الاسلام في هذا العصر فصارت تتمنى زوال سلطته عن مهد الاسلام، وترى أنه لا يرجى لذلك غير هؤلاء النجديين البواسل الذين صارحهم هو بالعداوة والاذى بما جدد من دعاية سلفه الطالح من الطعن في دينهم ورميهم بالكفر، وادعائه أن الاسلام يوجب عليه قتالهم، والمصلحة العربية توجب عليه إخضاعهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لسلطانه، وجعلهم تابعين لملكه، ومنعهم من أداء فريضة الحج - على ما عرف عنهم من إباء الضيم وعدم الصبر على انتهاك حرمات الله - الى تحكمه ما شاء في إقامة ركن الدين الاجتماعي العام في بيت الله، وظلم من شاء فيه بالضرائب المختلفة وظلم أهله في كل شيء — فهذه اسباب الرجاء في النجديين بالاجمال(١) لا حب التوسع في السلطان والتبسط في الملك الذي يرميهم به هو ودعاته وجرائده من باب « رمتني بدائها وانسلت » ونحمد الله تعالى أن هؤلاء الدعاة قلوا وقلت الجرائد التي تنشر لهم إفكهم وبهتانهم

ولكن بقي من الناس من يسيئون الظن بالوهابية ويظنون أنهم أصحاب مذهب مبتدع في الاسلام، وذلك بتأثير الدعاية المنتشرة منذ قرن وربع قرن في الطعن فيهم — وبتأثير انتشار البدع واشتهارها حتى صار بها المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فالآخذون بهذه البدع يعدون كل منكرها وهابيا ويضيفون الى ذلك ما حفظوه من البهتان الذي جدده الملك حسين في جريدته القبلة من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين وإنكار شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحريم الصلاة عليه وزيارة قبره كسائر القبور، بل تجرأ حسين المكي وأمثاله على رميهم بالطعن في شخصه الاكمل وتفضيل العصا عليه برأه الله تعالى ولعن كل مجتريء على مقامه الشريف

هذه البهائت كان يبهتهم بها أمير مكة وأعوانه في أوائل القرن الثالث عشر الهجرة عند ظهور أمرهم لتنفير المسلمين منهم، ولما استولوا على مكة المكرمة سنة ١٢١٨ بقيادة الامير سعود جمعوا علماءها وفي مقدمتهم مفتي الحنفية ومفتي المالكية وبينوا لهم مذهبهم وخطتهم في تجديد دعوة الاسلام فوافقوهم عليها وذكروا لهم ما كان أذيع من الطعن الذي أشرنا اليه آنفا فتعجبوا وتبرؤا منه

إننا لم نر أحدا من البهاتين الذين يطعنون فيهم ينقل شيئا من كتبهم، ونحن في بياننا للحقيقة ننقل من كتبهم ومن كتب غيرهم ولا نقول شيئا من عندنا بغير دليل :

(١) وسيأتي بيانها بالتفصيل في المقالتين الثانية والثالثة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بيان الوهابية لمذهبهم

جاء في رسالة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد صاحب الدعوة وصف فيها دخول جماعتهم مكة مع الامير سعود سنة ١٢١٨ ومناظرتهم العلماء فيها و إعطاءهم رسائل والده الشيخ محمدْ عيد الوهاب — وكان مع علماء مكة الذين حضروا مجالسه حسين الابريقي الحضرمي ثم الحبابي وكان يسأل عن أصل هذه الدعوة قال الشيخ عبد الله ما نصه :

« فأجبناه بأن مذهبنا في الاصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم والاعلم والاحكم ، خلافا لمن قال: طريقة الخلف أعلم، وهي أننا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فان (مالكا) وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة »

ثم قال « ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل . ولا ننكر على من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم» الخ (ص ٤٤ من كتاب الهدية السنية والتحفة النجدية)

ثم قال : « وأما ما يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهواءنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا تعويل على شيخ . وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه، وليس له شفاعة؛ وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه (فاعلم أنه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية — وانا لا نعتمد على أقوال العلماء فنتلف مؤلفات أهل المذاهب ، لكون فيها الحق والباطل — وانا نكفر الناس على الاطلاق ، أهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه — ومن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد الا بعد التقرير عليه أنه كان مشركا وان أبويه ماتا على الشرك بالله ، واننا ننهى عن الصلاة على النبي (ص) ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا — وان من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون — واننا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم » الخ

ثم قال : « فجميع هذه الخرافات (أي التقولات) وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا كان جوابنا في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم)فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى،ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ماعندنا، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين،واخوان الشياطين، تنفيرا للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » الخ (ص ٤٦ من الهدية)

ثم قال:« والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق وانه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب وانه يسمع سلام المسلم عليه وتسن زيارته الا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس . ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه — عليه الصلاة والسلام — الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفي همه وغمه كما جاء في الحديث عنه، ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم بالحق وانهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية، الا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا في الحياة ولا بعد الممات » الخ مافصل به ذلك الاجمال من انكار ما بهتوا به . فمن شاء التفصيل فليطالع (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) وهي توزع في مكتبة المنار بغير ثمن

وقد كنت لدى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في أوائل الشهر الماضي فذكرت الوهابية وسبب الطعن فيهم وكان من حاضري المجلس الاستاذ الشيخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبد المجيد اللبان والاستاذ الشيخ محمد شاكر والاستاذ الشيخ احمد هارون والاستاذ الشيخ الظواهري وغيرهم فبينت لهم تاريخ المسألة ومن كتب فيها على بينه من المؤرخين عند استيلاء الامير سعود على الحجاز ثم ذهب أحد سعاة سكرتارية الازهر الى مكتبة المنار فجاء بعشرات النسخ من الهدية السنية ووزعت عليهم وقرأ الاستاذ الاكبر ما نقلناه هنا وما فصل فيها مما لم ننقله واعترف بأنه مذهب أهل السنة والجماعة إلا أنه قال: ان حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » قد أوله العلماء قلت: وهم قد أخذوا بظاهره تبعا لبعض المحققين من علمائهم — أعني الحنابلة — وأزيد أن بعض الشافعية والمالكية حرم شد الرحال لزيارة قبور الصالحين كالامام الجويني والد امام الحرمين واختاره القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم كما نقله عنه النووي فأخذ الوهابية بذلك لهم سلف فيه وليسوا أول من قال به

شهادة التاريخ للوهابية

نكتفي هنا بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلا عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية واستيلاء أمير نجد بقوتهم على الحجاز

﴿الشهادة الاولى﴾ قال المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الازهري في أول حوادث سنة سنة ١٢٢٧ من تاريخه نقلا عن بعض أكابر رجال جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز ما نصه:

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع: أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صنايق المسكرات ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين. والقوم (يعني الوهابية) اذا دخل الوقت اذن المؤذنون و ينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع، واذا حان وقت الصلاة و الحرب قائم (؟) أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحرب وتتأخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ، وينادون في معسكرهم: هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون، والمستبيحين الزنا واللواط، الشاربين الخمور، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القاتلين الانفس ، المستحلين المحرمات . وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين » اه (ص ١٤٠ ج ٤ من الطبعة الاميرية) وفيه من فظائع العسكر وفواحشه ما لا حاجة الى ذكره

ومن المعلوم أن جيش محمد علي كان أخلاطا من شعوب ومال شتى ولم يكن مؤلفا باعتبار أنه جيش اسلامي يقيم شعائر الاسلام ويحافظ على فرائضه ويراعي أحكامه في القتال وغيره بل لم يكن جيش الدولة العثمانية المنظم كذلك وهي التي كانت توصف بأنها دولة الخلافة . وأما ظن ناقل الخبر للجبرتي أنهم لا ينصرون وحالتهم ما ذكر فسببه أنه يعتقد أن الفسق يمنع النصر وليس كذلك فان من استوفى أسباب النصر من كثرة العسكر ونظامه وعدته ينصر على من ليس كذلك

﴿الشهادة الثانية﴾ — ما جاء في كتاب (الاستقصا ، لاخبار دول المغرب الاقصى) للعلامة الشيخ احمد الناصري السلاوي فانه ذكر في الجزء الرابع منه خبر وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس وخلاصة وجيزة عن أصل الوهابية لا تخلو من غلط ثم ذكر أن سلطان فاس أرسل جواب ذلك الكتاب مع ولده الذي سافر مع بعض العلماء الى الحجاز وهذا نص خبره (ص ١٤٥ من الجزء الرابع المطبوع بمصر) قال:

(حج المولى أبي اسحق ابراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله)

(وفي هذه السنة) أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الاستاذ الافضل المولى أبا اسحق ابراهيم بن سليمان الى الحجاز لاداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من (فاس) على هيئة بديعة من الاحتفال وابراز الاخبية لظاهر البلد وقرع الطبول واظهار الزينة وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والاعيان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء العرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف البركة المولى الامين ابن جعفر الحسني الرتبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا الى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم

(حكى صاحب الجيش) أن المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستصحب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الامن والامان والبر والاحسان قال: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعني ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وانما شاهدوا منه ومن أتباعه مابه الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام، من صلاة وطهارة وصيام، ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام، التي كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير. وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس، وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم أظهر له التعظيم الواجب لاهل البيت الكريم. وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو اسحق ابراهيم الزداغي فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية. فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟ فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي فقال لهم: معاذ الله انما نقول كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. فهل في هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من مخالفة ؟ قالوا : لا وبمثل هـذا نقول نحن أيضا . ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم . فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال : معاذ الله انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الانبياء حياة فوق حياة الشهداء، ثم قال له القاضي: وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها . فقال : معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية، ويطلبون من الاموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية . وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ماصار اليه المزور ثم يدعوله بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى ويسأل الله المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة فأي مخالفة في هذا القدر . اه . ثم قال صاحب الجيش هـذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك اه

وذكر المؤلف بعد هذا الخبر بحثا في زيارة القبور رجح فيه القول بمنع زيارة الاولياء سدا للذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس وذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان رحمه الله كان يرى هذا وألف فيه رسالته المشهورة وان الشيخ الفقيه الصوفي أبا العباس التيجاني كان يرى هـذا ونهى أصحابه عن زيارة الاولياء اه ملخصا

والشيخ احمد التيجاني المذكور قد انتشرت طريقته في جميع بلاد المغرب الاقصى والادنى حتى ان أتباعه يعدون بالملايين الى هذا العهد

ومانقله من كلام الامير الوهابي في مسئلة الاستشفاع معزوا الى الامام احمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يظهر انه لم ينقل بحروفه فان الامام أحمد رضي الله عنه لا يعرف عنه ولا عن علماء الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم والله أعلم

وسنبين في مقال آخر ان المتغلب على الحجاز اليوم هو الذي يكفر المسلمين الذين يعاديهم ويعادونه فقد كفر الترك والمصريين كما كفر الوهابية ونبين أن ما فعله النجديون من الزحف لانقاذ الحجاز من بغيه هو من فروض الكفاية على الامة الاسلامية قد قاموا به فاذا ظفروا ارتفع الاثم عن جميع المسلمين والا وجب ذلك على غيرهم

المقالة الثانية

في الاسباب العامة لزحف الوهابيين على الحجاز

تمهيد : طريقتنا في الكتابة

إننا نكتب ما نكتب في هذا الموضوع نبيان الحق وأداء النصح الواجب للامة الاسلامية والشعب العربي، وقد عاهدنا الله تعالى على أن لا نؤثر على الحق والنصح شيئا، وانه اذا ظهر لنا أننا أخطأنا في شيء فاننا نرجع عنه ونعلن ذلك اعلانا

فما كان في كلامنا من خبر فاننا مستعدون لاثباته بالنقل عن المصادر التي لا نزاع فيها وأكثرها رسمية حقيقة أو حكما (وهذا ما يسميه كتاب هذا العصر شبيها الرسمي) كأقوال جريدة القبلة التي لا تعزوها الى الملك حسين ولا الى حكومته (التي هي هو)

وما كان من حكم شرعي فاننا نذكره بالدليل ونعرضه على علماء الاسلام في العالم كله فان كتب الينا أو كلمنا أحد منهم بما يقنعنا بأننا أخطأنا في شيء منه فاننا نرجع الى الحق ونعلن ذلك لمن اطلع على كلامنا حيث اطلع عليه ، والا بينا له خطأه بالدليل مع التزام الادب الذي نطالبه به ونعرض كلامنا وكلامه على الجمهور

وما كان من رأي فاننا لا نأبى مناقشة أهل الرأي فيه على شرطنا فيما قبله ومنه ان يرسل الرد الينا أو الى الصحيفة التي ننشر فيها كلامنا، ولسنا نكلف أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نطلع على جميع الجرائد وما عساه يوجد في بعضها من نقد أو طعن فنرد عليه، ولا أن نرد على من يخرج عن شروط المناظرة وآدابها، وانما نرد على من ينكر بالدليل صدق خبر من أخبارنا أو صحة دليل من أدلتنا أو بطلان رأي من آرائنا، لاننا نتحرى الحق والصواب في هذه الثلاثة وندور معه ان شاء الله تعالى حيث دار

اننا أفتينا ببطلان بيعة حسين بن علي بالخلافة وسردنا الدلائل الشرعية على ذلك، ونشرت الفتوى في مجلتنا (المنار) وفي جريدتي الاهرام والمحروسة، وبينا في هذه الفتوى وفي مقالات أخرى في المنار أن هذه البيعة على بطلانها تضر الامة العربية وتزيد الشقاق بين شعوبها وحكوماتها، فصدقت الحوادث رأينا ولم يرد عليه أحد فيما نعلم، واننا بيناحقيقة حال خصومه النجديين في مذهبهم بالنقل من كتبهم ومن كتب التاريخ المشهورة ولم نذكر من عندنا كلمة واحدة وان يستطيع أحد أن ينكر كلمة من نقلنا وقد بينا مواضعه حتى ذكرنا أعداد الصفحات والاجزاء التي نقلنا عنها، لذلك وقع أحسن موقع من أنفس الناس الذين قرؤا مقالنا الاخير الذي نشرناه في جريدة الاهرام واستزادونا من الكتابة في هذا الموضوع، وكثر طلاب التحفة السنية والهدية الوهابية من القاهرة ومن جميع أرجاء القطر المصري ومما جاوره حتى صار جل عمل مكتبة المنار منذ نشرت المقالة توزيع هذه الرسالة فكان هذا سببا لمعرفة الالوف الكثيرة من الناس ما كانوا يجهلون من حقيقة اهل هذا القطر الاسلامي الذين هم أشد مسلمي هذا العصر حرصا على السنة السنية وعناية بالاعتصام بعروتها الوثقى وكان أمرهم مجهولا عند الاكثرين بل كانوا يوصفون بضد ما هم عليه بما يذيعه حسين بن علي وأعوانه من الطعن في دينهم تبعا لما أذاعه سلفه في إمارة الحجاز، ومقلدوهم من مدة قرن وربع قرن حين فتحوا الحجاز للمرة الاولى، حتى كتب أخيرا بعض من لا قيمة للحق والصدق عندهم مقالات في بعض الجرائد كلها زور وبهتان هبط الافتراء ببعضهم فيها الى رميهم بأنهم يسعون لابطال دين الاسلام تمهيدا لنشر دعوة المبشرين (دعاة النصرانية) فكانت هذه فرية عجز عن مثلها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيطان الرجيم ولم تخطر ببال (منقذ العرب والمسلمين !!)

وانا في هذا المقال وما بعده نبين للناس كافة، ولاهل الغيرة الاسلامية والجامعة العربية خاصة، أسباب زحف النجديين لانقاذ الحجاز من هذا المتغلب عليه، المستبد فيه، الظالم لاهله ولمن يحجونه من سائر المسلمين، وسيعلمون مما نورده من الحقائق الجلية، والشواهد الرسمية وشبه الرسمية، أن سلطان نجد لم يفعل هذا طمعا في توسيع ملكه، ولا لمجرد المحافظة على حقه، بل خدمة للملة الاسلامية والامة العربية، وان كان الامر الثاني وحده يوجب عليه ذلك شرعا وعرفا، ونبدأ بذكر الاسباب العامة فنذكرها بالايجاز لانها صارت مشهورة الا أنه يقل من يحفظها كلها ويستحضر ذكرها، ثم من يخلص في بيان ذلك للناس، ولهذا نرى ما يتعجب منه من الخبط والخلط والباطل في مقالات بعض الكتاب حتى من تصدى لتمحيص امثال هذه المسائل خاصة

الاسباب العامة

لزحف النجديين على الحجاز

(السبب الاول) ما هو معلوم بالتواتر القطعي وبالوثائق الرسمية من موالاة شريف مكة حسين بن علي وأولاده للدولة البريطانية وحلفائها في الحرب الاخيرة ونصرهم إياهن على الدولة العثمانية في فتح البلاد العربية وانه كان بهيئ الدولة البريطانية كلما فتحت مدينة من أمصار الاسلام وعواصم الحضارة العربية كالقدس الشريف وبغداد ودمشق، ثم اقتسموا هذه البلاد فأعطوه ولاية الحجاز وأخذوا هم ولايات العراق وسورية والقدس الشريف حتى إنهم اقتسموا سكة الحديد الحجازية أيضا التي هي وقف اسلامي أنشئ لتسهيل إقامة ركن اسلامي.

فأما تولي المسلم لغير المسلمين في القتال وفتح بلاد المسلمين فحكمه الديني معلوم بنص القرآن المجيد وكتب الشريعة وحسبنا منه قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وأما عاقبته في الامة العربية فهي استيلاء الاجانب على مهد حضارتها وعمرانها وأخصب اقطارها وأعظم موارد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثروتها ، وجعل ما بقي لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر ومهددا بفقدان استقلاله في كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما وهو المسجد الاقصى حتى لا يبقى لها استقلال في دين ولا دولة

(فان قيل) ان هذا الرجل وأولاده يدعون أنهم ما فعلوا هذا الا لانقاذ البلاد العربية واستقلال العرب (قلنا) اننا نحن نبين الحق الواقع لا إفك السياسة ومغالطاتها وكذبها ومكابرتها ، والا فان الانكليز قالوا ولا يزالون يقولون مثل هذا القول في احتلالهم لمصر ، وفي إكراه وزير من وزرائها على تسميته إياهم شركاء لمصر في بلاد السودان ، وفي زعمهم الآن أن السودان يجب أن يكون في أيديهم وحدهم لان لهم مصالح فيه ولاتمام سعادة السودانيين !! .

(فان قيل) إن ثورة الشريف التي يسميها النهضة انما بنيت على القصد الصحيح المذكور ثم ظهر له أن حلفاءه خدعوه وأخلفوا وعده ، ونكثوا عهده ، ولا عجب فقد خدعوا رئيس أعظم دولة في العالم كما خدعوه وهو رئيس دولة الولايات المتحدة في أميركا (قلنا) إن هذا باطل كالذي قبله كما يعلم من الاسباب الآتية وربما كان من أسباب ارجاء ابن سعود الزحف على الحجاز الى الآن ، لاجل استعراف نتيجة هذه الاقوال

(السبب الثاني) أن الشريف حسينا وأولاده لا يزالون مصرين على موالاة حلفائهم الاجانب ومودتهم ومساعدتهم على تثبيت أقدامهم في البلاد العربية مع ادعائه هو دون أولاده بأنهم خدعوه وغشوه لانه أشدهم رياء وخداعا وافكا ولذلك يناقض نفسه ويبطل بعض كلامه بعضا ، وها نحن أولاء قد قرأنا في عدد جريدة (القبلة) ٨١٠ الذي صدر في ١٠ المحرم فاتحة هذا العام (١٣٤٣) تصريحا رسميا له بالثبات على مودتهم في منشور باسمه سماه (منشور عيد البيعة الاولى) وما أكثر أعياده بمصائب العرب والاسلام !! فقد قال فيه ما نصه : « وانا لا نزال ساعين لتأييد المودة وتأكيد الروابط بيننا وبين خلفائنا العظام » فما هذا التأييد والتأكيد ان كان صادقا في قوله إنه مخدوع منكوث العهد ، مكذوب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوعد، ولماذا يصر على السعي لعقد المعاهدات معهم والنبي الذي يدعي له وحكومته اتباعه له دون المسلمين كافة والوهابيين خاصة يقول «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» رواه البخاري ومسلم وغيرهما — دع ما ورد في أمثال هذه المادة والمعاهدات في سورتي الممتحنة والتوبة مما ينافي الاسلام نفسه

(السبب الثالث) ان ما يسميه النهضة قد بني على أساس الحماية البريطانية المملكة العربية التي طلب من الانكليز أن يؤسسوها له كما فضحها ولده الشريف فيصل في دمشق الشام بنشره نص مقرراتها الرسمي في جريدة المفيد ثم نقلتها الصحف الكثيرة في المشرق والغرب، وهذا نص المادة الثانية منها بحروفه كما كتبها حسين بن علي بيده الاثيمة الخاطئة :

(٢) تتعهد بريطانية العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء الخ

ولكن الانكليز لما لم يسمحوا له بغير الحجاز من البلاد العربية التي طلب أن يكون ملكها تحت حمايتهم لم يكن من مصلحتهم أن يقبلوا رسميا جعل الحجاز تحت حمايتهم . وهو لا يزال مصرا على هذه المقررات ويعد من أعظم النعم عليه أن يكون موظفا بريطانيا في الحجاز كبعض النواب والرجوات في بعض الولايات الهندية التي تسمى مستقلة في بطن الحضجر الواسع (١)

ومن الادلة على ذلك أنه طلب مرارا من الدولة البريطانية إنالته من ملك الحجاز وتنصيب غيره بدلا منه . وأرسل مرة الى مدير جريدة التيمس برقية اليه رغب اليه فيها أن يتوسل لدى حكومته لقبول استقالته . وهذا نص البرقية منقولا عن العدد ٥٥٣ من (جريدة القبلة) :

---

(١) الحضجر — بكسر فسكون ففتح — العظيم البطن الواسعة، وسميت به الضبع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« المدير العمومي لصحيفة التيمس

« اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم أحد امرائهم ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة لعموم الشعب النجيب البريطاني اكرر بهذا طلبي بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد » الخ . والمراد بالامير المشار اليه سلطان نجد اذ كانت جريدة التيمس مدحته بمقال لها

وكان قد أرسل الى نائب ملك الانجليز بمصر كتابا في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نشره في جريدته (القبلة) مرارا لاعتقاده انه من معجزات السياسة والكياسة والبلاغة استغاث فيه الدولة البريطانية أن لا تعدل مقررات نهضته المبنية على الحماية ولا تعرض الاتفاق معه على مؤتمر الصلح قال فيه مانصه السقيم:

« فان كان ولا بد من التعديل فلا لي سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضي، ولا لفكر غرضي، وأنها لا ترتاب في أني وأولادي أصدقاؤها الذين لا تغيرهم الطوارىء والايام ، ثم تعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة »

ثم اجاب عن تعليق أمر مطالبه بالمؤتمر وختم كلامه بقوله :

« ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بحروفه من العدد ٣٩١ من جريدته (القبلة) الذي صدر في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ ومنه يعلم أن الدولة البريطانية عنده كالمعبود فلا يعاملها معاملة مبنية على المصلحة فقط

(السبب الرابع) رضاه باستخدام الدولة البريطانية لاولاده في العراق وشرق الاردن لتخدير أعصاب بدو البلاد وحضرها وحملهم على الرضاء بما يؤسس فيها من حظائر الطيارات الحربية وتعبيد الطرق في قلب الجزيرة للسيارات والدبابات ومد سكك الحديد العسكرية والتجارية لتمكين سلطانها فيها ، فان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العرب اذ قاوموها قبل ذلك فالراجح أنها تضطر الى ترك بلادهم لهم لئلا تضطرها المقاومة العملية الى بذل ألوف الملايين من المال ومئات الالوف من الرجال ، وذلك ما لا يأذن لها به برلمانها ولا تسكت عليه أمتها في هذا الوقت التي أرهقتها فيه الضرائب . واذا هي تم لها بنفوذ هؤلاء الحجازيين ما شرعت فيه من ذلك فرسخت أقدامها واستقرت قوتها فلن تخرج من البلاد ولن ترضى الا الاستيلاء على سائر جزيرة العرب للمحافظة على ما تسميه مصالحها وطرق تجارتها وعلى ما تدعيه من اسعاد البلاد وأهلها كما تقول في مسألة السودان وهي عبرة للمخدوعين بهؤلاء الحجازيين إن كانوا غير خائنين لامتهم و بلادهم ولا جاهلين لمصلحتها ككثير من البدو

(السبب الخامس) جعل حرم الله تعالى الامين مركز ملك حربي يحالف ملكه بعض الملوك الاجانب غير المسلمين ويجعل لهم حقوقا في الحرمين الشريفين غير مسألة الحماية التي تقدم ذكرها و يعادي آخرين ، ولا يجوز أن يجعل الحجاز مركزا حربيا أي عرضة للحرب لان ذلك قد يؤدي الى منع الحج الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي العام الجامع للشعوب الاسلامية كلها . وإنما مصلحة المسلمين عامة وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة جعل الحجاز قطر حياد وسلام والسعي لاعتراف جميع الدول بذلك . ولو فعل السيد حسين المكي ذلك لاستغنى به عن معاداة جيرانه من العرب والاستعداد لقتالهم ، ولاستغنى عما هو شر من ذلك وهو اهانة نفسه و بيته وأمته وملته وحرم الله وحرم رسوله بالالتجاء الى حماية دولة غير مسلمة له ولها

(السبب السادس) أنه سمى نفسه ملك العرب وملك البلاد العربية وحمله غروره بنفسه على السعي لاقناع أمراء جزيرة العرب المستقلين بالاعتراف له بذلك فسخروا من سعيه لسوء سياسته وبناء ملكه على الحماية الاجنبية وضعفه وفساد ادارته واعتقاد كل منهم واعتقاد رعيته وسائر العارفين بحالهم أنهم أحق بالملك منه . ولكنه لم يرجع عن دعواه بل أصر على ذلك وحاول التوصل اليه بقوة الاجانب الذين جعلوا احد أولاده ملكا والآخر أميرا مرشحا للملك في دائرة امبراطوريتهم المرنة ؛ فهو قد اتخذ جميع أمراء الجزيرة المحيطين بالحجاز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعداء له . وحسبنا شاهدين على هـذا: ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة الذي أسسه لبث دعايته وتمهيد السبيل له — وما جرى في مؤتمرات الكويت من الامتناع من الانفاق الودي مع حكومة نجد واننا ننقل بعض كلامه في الشاهد الاول ونرجيء الثاني الى بيان الاسباب الخاصة لزحف النجديين على الحجاز :

نشرت جريدة القبلة في العدد ٧٣٧ الذي صدر بمكة في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ بيانا عاما من (اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة) بامضاء رئيسها (محمد ابن علوي) ذكر فيه ما صرح له به الملك حسين من تفسير الوحدة العربية التي يطلبها ، وهو انه رسمها على الاساس الآتي :

« وهو وحدة البلاد العربيـة واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالامارات العربية المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب، وان كل أمير في أي امارة من هذه الامارات الموروثة لهم من آبائهـم واجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها امارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بالخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله)

« وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها أو طرأ عليها الاغتصاب كعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلا بد من عودتهم الى ما كانوا عليه كعودة الامام يحيى الى صنعاء »

ثم قال « ولذلك فهذه هي الخطة التي عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين — لذا فلابد من اعادة آل رشيـد وآل عايض الى اماراتهم وحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها ، واعادة كل أمير من امراء الجزيرة الى ما كان عليه قبل الحرب » — الى أن قال — « هذا الذي أدين الله عليه ولو لم تبق الا ذاتي وحياتي لانفقتها في هذا السبيل »

فهـذا نص صريح من الملك حسين الذي سمى نفسه (ملك العرب وجميع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البلاد العربية) بمعاداة جميع امراء جزيرة العرب وجعلهم معه في حالة حرب لانه يدين الله تعالى بسلب كل واحد منهم بعض البلاد التي في يده وبجعلهم تابعين في السياسة الخارجية والحربية والادارة العامة لملك العرب أي له

أذاع عنه هذا في جريدة (القبلة) رئيس مؤتمر الجزيرة المستخدم عنده لهذا وهو الذي يرسل البرقيات الى العالم الآن في الافتراء على النجديين لينفر العالم منهم

(السبب السابع) إلحاده بظلم أهل الحرم وارهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد الى البلاد من الاقوات وغيرها وباحتكاره القوت الضروري وهو الخبز بابطاله جميع الافران العامة الخاصة وانشائه أفرانا يكره الناس على الشراء منها بالثمن الذي لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ، مع عدم المبالاة بقول النبي (ص) « احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه وأبو داود في سننه واكثر رواة التفسير المأثور من حديث يعلى بن أمية (رض) وفي معناه روايات أخرى عن عمر وابن عمر (رض) مرفوعة وموقوفة - وبغير ذلك من اغتصاب أوقاف الاشراف والاوقاف الاهلية في المدينة المنورة وبالحبس والتنكيل والتعذيب وقطع الاطراف والقتل بغير حق يجيزه الشرع ، ولا نطيل هنا في هذا وقد بيناه بالتفصيل في مجلة المنار ولدينا مزيد وهو معروف عند أهل نجد

(السبب الثامن) تحكمه بهواه في أمر فريضة الحج فهو يمنع منها من انخذهم أعداء له كأهل نجد ويضرب على سائر الحجاج المكوس غير المشروعة باسم جوازات السفر ورسوم الصحة وغير ذلك مما أذاعه حجاج الافاق في جميع الاقطار ، وشرحناه بالتفصيل في مجلة المنار

(السبب التاسع) نشره في جريدة القبلة أنه لا يوجد في العالم حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم أحكام الشرع غير حكومته ، وتكفيره للترك والمصريين والنجديين ، وسنذكر بعض الشواهد على هذا في المقال التالي

(العاشر) ادعاؤه مع كل ذلك الخلافة الاسلامية الذي يقتضي أن كل من يخالفه ولا يخضع لحكومته من الشعوب والحكومات الاسلامية من الخوارج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البغاة الذين يجب عليه وعلى سائر المسلمين قتالهم ، وقد ذكرنا آنفا رأيه في امارات جزيرة العرب المجاورة للحجاز ونصريحه قبل اظهار دعوى الخلافة والدعوة العامة الى مبايعته بها بأنه يدين الله تعالى بجعلها تابعة لملك واحد و بعزمه الثابت على تنفيذ ذلك بالقوة ، فكيف يكون شأنه بعد هذه الدعوى ومقتضاها عنده أنه يجب على أهل هذه البلاد كسائر المسلمين أن يكونوا تابعين له خاضعين لحكمه

فهذه الاسباب العامة توجب على من قدر من أمراء المسلمين أن ينقذوا الحجاز من سلطة هذا المدعي المغرور كما فصلناه من قبل في المنار، وسنجمل القول فيه في المقال التالي الذي نبين فيه الاسباب الخاصة التي حملت أهل نجد على القيام بهذا الفرض الكفائي وسبب تأنيهم في ذلك وهو الاحترام للحرم الشريف

﴿ بطل العرب والاسلام وأندلسهما الثانية ﴾

يعلم قراء المنار مما كتبت فيه بشأن انتصار اخواننا الترك على اليونان في الحرب وعلى الانكليز في السياسة بعض ما كنت عليه من الغبطة والسرور وإنما هو بعض ما كان في قلبي ، ويعلمون أني نوهت بقواد الترك وزعمائهم، وفضلتهم على جميع من تصدى لزعامة العرب في هذا العصر ولا سيما الشيخ حسين بن علي المكي ، وأولاده ولا سيما فيصل وعبد الله الذين جاهرت بجهادهم في المنار وغيره من الصحف منذ ألغيت المراقبة على الصحف في مصر

ولكنني على ما كان من إعجابي برسالة مصطفى كمال باشا زعيم هذه النجدة وقائد هذه الغزوة لم أره مستحقا للقب بطل الاسلام الذي منحه إياه بعض الصحف الاسلامية بمصر وغيرها ثم ندموا ووصفوه بعداوة الاسلام ، بل كان هذا مما أنكرته على أشهر المنوهين به من كبار كتاب الصحف لكن قولا لا كتابة لانني كنت أعلم علما اجماليا أنه قائم بالعصبية التركية ولها يعمل لا للاسلام ثم صار هذا الاجمال علما تفصيليا عندي قبل جماهير المسلمين وغيرهم

وأما محمد عبد الكريم القائد العربي لجيش الريف المغربي ممزق الزحوف الاسبانية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهازمها وقاتل قوادها ومذل دولتها، فانني أحليه بلقب بطل العرب والاسلام بحق بل نقول أن ما اطلعنا عليه من بلائه وهو اقله يثبت انه قد فضل جميع قواد الدول وزعماء الامم في نهضاتها الحربية والادارية لا مصطفى كمال باشا وحده، وحسبنا في امتيازه على هذا مقال الكاتب السياسي الشهير صديقنا الامير شكيب ارسلان الذي نشرناه في الجزء التاسع (م ٢٤) وهو أول من أطلق عليه لقب بطل الاسلام من كبار كتاب السياسة المسلمين

فأما كونه بطلا في نفسه فقد ثبت بعمله الذي أعجب به العالم كله ونوهت به صحف الشرق والغرب لجميع الامم والملل ولما يوفه أحد ما استحقه من الثناء فيما نعلم ، وأما كونه بطلا للاسلام فلانه قائد مسلم نهض بطائفة من المسلمين لانقاذ بلاد اسلامية من استعباد شعب متعصب استأصل بتعصبه الديني مسلمي الاندلس بالسيف والنار، حتى لم يبق منهم في تلك البلاد التي جعلوها أرقى بلاد العالم كله عمرانا وحضارة ديارا ولا نافخ نار ، بل كل من لم يتناصر منهم ولم يغادر البلاد ناجيا بنفسه قتل شر قتلة

وأما كونه بطلا للعرب فلانه هو وقومه المجاهدون في سبيل الله لحفظ حريتهم ودينهم ووطنهم من العرب لغة ودينا وأدبا ، وان كان بعضهم ليس منهم نسبا. ولان سلفهم من مسلمي الاندلس الذين ثاروا لهم كانوا من صميم العرب . على أنهم لم يقصدوا الثأر ، وانما جهادهم دفاع عن النفس ، وقد أيدهم الله تعالى بالنصر ، بمثل ما أيد سلفهم بقيادة كبار أبطالهم من قبل ،

فان كان تأثير عمل محمد عبد الكريم في العالم الاسلامي أقل من تأثير عمل مصطفى كمال باشا ورجاله فليس لانه دونه بل لان الدولة العثمانية التي كانت مشرفة على الزوال أعظم شأنا في قلوب جميع الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية من أهل ريف مراكش ، وبقاء الترك دولة حربية مستقلة في عقر ديارهم يعد بمنزلة الحصن العائق دون سهولة استيلاء الاجانب على الممالك المجاورة لها ، حتى بعد انسلاخ حكومتها الحاضرة من الجامعة الاسلامية الذي لم يكن بخطر لاحد من تلك الشعوب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بال الا بعض الضباط والمتمرسين بالسياسة من العرب الذين كانوا عثمانيين

ولكننا نعجب أشد العجب أن نرى البلاد العربية ولا سيما دعاة النهضة الجنسية فيها لم يقدروا عمل هذا الزعيم قدره ولم يشدوا أزره ، وهم يرون كبرى دول الاستعمار الثلاث المتعدية على جميع بلادهم مجمعة على التشاؤم من انتصار حكومة الريف بتدبيره وخائفة أن يكون سببا لتحرير سائر الاقطار الاسلامية الافريقية من رقهن ، وان يمتد شعور المسلمين برجاء الحرية والاستقلال من المغرب الاسلامي الى المشرق فيعرف أهله طريق الاستقلال المعبد فيسلكوه ، وان يعود للاسلام سلطانه الاول بحياة هذا الرجاء في جميع شعوبه المستعبدة ، فطفق رجال السياسة فيهم يتناجون لاجماع أمرهم على إحباط عمل الزعيم العظيم وإيقاف سريان هذا النصر عند الحد الذي تتفق مصالحهن عليه — فأين هذا من مساعدة كل من فرنسة وإيطالية لمصطفى كمال باشا وقومه ، واضطرار الشعب البريطاني حكومته الى الامساك عن مساعدة اليونان على قتاله؟ ؟

إننا لا ننكر أن الشعوب الاسلامية مرتاحة لعمل قائد الريف العظيم ومسرورة بقدر ألمها من سلب الاجانب لاستقلال أمتها ، ونسخ شريعتها ، ولكن ساسة دول الاستعمار يعلمون من تأثير حياة الامم ومن سريانها ودبيبها من شعب الى آخر ولا سيما اذا كان لها وحدة جامعة وتاريخ مشترك تفتخر بسلفه كالامة الاسلامية التي أدمجت فيها أقوى مقومات الامم ومشخصاتها ، فهم لعلمهم هذا يحسبون لحياة الشعوب ما ليس في حسبانها ، ثم يبالغون فيها على سبيل الاحتياط فيرجحون الشائل من ميزانها ، ولو صلت الحياة الملية في تونس والجزائر أو في طرابلس الغرب أو فيما بعد فوقها على تفاوتها كمصر والهند الى المستوى الذي تخافه فرنسة وايطالية وانكلترة لرأينا الاعانات المالية والبعثات الطبية مرسلة تترى من هذه البلاد كلها الى ريف مراكش ، بل لرأينا المتطوعين يهاجرون اليه أرسالا ، نافرين خفافا وثقالا ، ما وجدوا الى ذلك سبيلا. لكننا لم نر شيئا من هذا ولا ذاك ، ولم نسمع في الدعوة الى أهون المساعدة صوتا عاليا يسمع فيلبى ، وانما سمعنا نأمة خافتة بمصر ، ونبأة فوقها من الهند ، ولم نر عملا يذكر ، ولا سعيا يشكر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أين كبار العلماء ؟ أين سراة الامراء ؟ أين الاغنياء الاسخياء ؟ أين الكتاب والشعراء؟ أين الجمعيات الخيرية؟ أين الاحزاب السياسية؟ بل أين جمعية الهلال الاحمر المصرية؟ ولا أنادي أختها التركية، فان الترك في الشعوب الاسلامية كعلماء الدين في كل شعب قد اعتادوا أن يأخذوا وما اعتادوا أن يعطوا، وهذا قبل وقوعهم تحت أحكام دولة قررت بترهم من جسم الجامعة الاسلامية فكيف يكون حالهم بعد ذلك؟

كلمت بعض أعضاء جمعية الهلال الاحمر المصرية منذ سنتين في مسألة الريف هذه وما يجب على جمعيتهم من مساعدة هؤلاء الريفيين المنقطعين عن جميع الامم والشعوب وليس عندهم من الاطباء والادوية والآلات الجراحية ولا من الممرضين والمضمدين من يأسو جروحهم ويطهر قروحهم ويداوي مرضاهم فان جمعيات الصليب الاحمر لا تعطف على قوم من المسلمين يدافعون عن أنفسهم بقتال دولة من دول النصرانية تريد استعبادهم واستعمار بلادهم، وقد سعى مسلم أفريقي لدى عبد المجيد أفندي الذي سمي خليفة المسلمين بأن تؤلف في الآستانه لجنة تحت رعايته لجمع التبرعات لذلك فارتاح لهذا الاقتراح ولكن حكومته زعمت أن جمعية الهلال الاحمر التركية أولى بهذا العمل وستقوم بهذا الواجب ولم يقم به أحد ولن يقوم هنالك أحد لان الحكومة لا تريد ذلك

بماذا أجاب عضو جمعية مصر؟ قال ان القانون الجديد لجمعيتنا قد حظر عليها انفاق شيء مما في صندوقها فلا سبيل الى بذل شيء الا مما يدخل في الصندوق بعد تقرير هذا القانون ولما يدخله شيء . قلت : وما المانع من أن تتولى الجمعية دعوة أهل البر والاحسان الى التبرع لها بما تؤدي به هذا الواجب ؟ وهل لك أن تقترح عليها ذلك ؟ قال : نعم ولكن بعد عودة صاحب الدولة الامير يوسف كمال رئيسها من سفره

لا شك عندي في صدق العضو الكريم في استحسانه الاقتراح . وقبوله بالغبطة والارتياح . ولكن الامير عاد من سفره ثم سافر ثم عاد ولم يظهر للجمعية عمل فعسى أن تتولى (جمعية الرابطة الشرقية) السعي الى هذه المبرة الانسانية لدى جمعية الهلال الاحمر المصرية ولدى الشعب المصري وسائر الشعوب الشرقية . وسأقترح ذلك عليها ان شاء الله تعالى في أول اجتماع تعقده واعد هذه الكلمة تمهيدا له .